

الامتحان معناه اجتياز المصاعب والمحن

المكان: طهران

الزمان: 1389/8/26 هـ ش. 1431/12/10 هـ ق. 2010/11/17 م.

المناسبة: عيد الأضحى المبارك، وذكرى تشييع 370 شهيداً من محافظة اصفهان في 25 آبان عام 1361 ش.

4321

أولاً، أرحب بكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء الذين طويتهم هذا الطريق الطويل وملأتهم في هذا اليوم المبارك والعيد السعيد أجواء الحسينية بإيمانكم وعواطفكم ومشاعركم.

كما أبارك يوم عيد الأضحى لكم جميعاً أيها الحضور المحترمون، ولأهالي اصفهان الأعزاء، ولكافة الشعب الإيراني، ولجميع المسلمين في العالم. وهذه المناسبة موالية جداً فيوم الخامس والعشرين من آبان من رموز تضحية أهالي اصفهان وإيثارهم، وقد صادف هذا العام مع عيد الأضحى المبارك.

لو جرى التنبّه للحكمة التي ينطوي عليها عيد الأضحى لانفتحت لنا الكثير من السبل والطرق. في عيد الأضحى ثمة تقدير و تثمين من الله عزّ وجلّ لرسول مختار هو النبي إبراهيم (عليه السلام) الذي ضحى في ذلك اليوم. والتضحية بالأحباء هي أحياناً فوق التضحية بالروح. كان يجب على النبي إبراهيم (عليه

السلام) أن يضحى بيديه بحبيبه وعزيزه في سبيل الله، وهذا الحبيب هو ابنه الشاب الذي منحه الله له على كبر سنه بعد عمر طويل من الانتظار، حيث يقول تعالى: «الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق»⁽¹⁾. لقد وهب الله تعالى هذين الولدين لهذا الأب وهو في سن كبير، وبعد عمر من الانتظار والشوق حسب الظاهر. ولم يكن له أمل في أن يرزق ذرية بعد ذلك. يذكر سيد شهداء العالم كله الإمام أبو عبد الله الحسين (عليه الصلاة والسلام) - وهو مظهر الإيثار والشهادة - هذه الحادثة في دعاء عرفة الشريف فيقول: «وممسك يدي إبراهيم عن ذبح ابنه بعد كبر سنّه وفناء عمره». هذا ما ورد في دعاء الإمام الحسين المبارك في يوم عرفة الذي وفق المؤمنون يوم أمس لقراءته.

هذا الإيثار و هذا التجاوز هو رمز للمؤمنين الذين يرومون السير في طريق الحقيقة والتعالى والعروج إلى المدارج العليا. الأمر غير ممكن من دون تضحية. هذه هي في الواقع النقطة الرئيسية في كل الامتحانات التي نمرّ بها.. القضية قضية إيثار وتضحية. والتضحية تكون أحياناً بالروح وأحياناً بالمال وقد تكون أحياناً تراجعاً عن كلام تفوّه به شخص ويريد أن يبقى عليه بكل إصرار ولجاجة. والتضحية في بعض الأحيان هي تضحية بالأعزاء والأحبة والأبناء والأقارب. الامتحان معناه اجتياز وادي المحنة. تعرض محنة أو شدة أمام الإنسان أو الشعب ويكون اجتيازها وعبورها هو الامتحان. إذا استطاع ذلك الممتحن عبورها فسيصل إلى هدفه ومقصده. وإن لم يستطع - إي لم يستطع

(1) سورة إبراهيم، الآية 39.

تفجير المواهب الكامنة في وجوده والتغلب على هوى نفسه - فسوف يبقى يراوح مكانه.. هذا هو الامتحان. ليس الامتحان الإلهي من أجل أن يعرفنا الله ويرى ما هي أوزاننا وحدود قدراتنا. إنما الامتحان نفسه خطوة نحو الهدف والغاية. حينما نمتحن أنا وأنتم فمعنى ذلك أننا إذا استطعنا اجتياز الشدة والمحنة فسوف نعيش واقعاً جديداً وحياة جديدة ومرحلة جديدة. ولا فرق بين الفرد والأمة في هذا المجال.

في العام الماضي مرّ الشعب الإيراني بامتحان وفتنة. وليس معنى هذا مجرد أن الجميع أدركوا أن الشعب الإيراني قوي، إنما المعنى الأهم لذلك هو أن الشعب الإيراني بتحركه هذا وبقدرته على اجتياز الفتنة والمحنة اكتسب وضعاً جديداً وتوفر على قدرة جديدة. حياة الإنسان مليئة في كل خطوة بالامتحانات. إذا استطعنا الانتصار على هوى أنفسنا، واستخدام بصيرتنا، ومعرفة الظروف، وإدراك ما هي العمل الواجب اللازم والقيام به، فسوف يوفر هذا لنا مرتبة جديدة من مراتب الحياة، فهو إذن سمو ورقي. وبالتالي فيوم الخامس والعشرين من آبان وهو يوم مميز ورمزي له مثل هذا المعنى بالنسبة لأهالي إصفهان.

وأرى لزاماً علي أن أتحدث في هذا المجال - أي حول مناقب إصفهان وخصال أهلها - ببعض الكلمات، فهذه هي هوية هؤلاء الأهالي المؤمنين الغيارى الواقفين عند واجباتهم ومهامهم. شيع أهالي إصفهان في يوم واحد 370 شهيداً، ولم ينل ذلك من عزيمتهم أبداً، ناهيك عن أنهم بعثوا إلى

الجهات في نفس اليوم عدداً كبيراً من المقاتلين، وكان لهم إسنادهم وتحركهم الإيجابي، وهذا شيء على جانب كبير من الأهمية. ومثلما تفضلوا بالقول⁽¹⁾ فقد أثنى الإمام الخميني على حركة أهالي إصفهان هذه. في آبان من عام 61 [1982 م] تم تشييع 370 شهيداً في إصفهان، وكان عدد شهداء إصفهان في نفس هذا الشهر أكثر من ألف شهيد. ألف ونيّف من الشهداء في شهر واحد.

من الذي يرزق الشهادة؟ الشخص الذي يخوض غمار الساحة ويتواجد في ميادين الخطر ويكون رائداً فيها.

كان لإصفهان قبل الثورة مشاركتها الواضحة في مختلف الأحداث، وهكذا كان حالها في أحداث الثورة، و بعد ذلك في الحرب المفروضة. الوحدات العسكرية المتواجدة في إصفهان سواء منها التابعة لحرس الثورة الإسلامية، لواء الإمام الحسين بمرکزية إصفهان، ولواء النجف بمرکزية نجف آباد، ولواء قمر بني هاشم، أو التابعة للجيش، المقر الثامن الذي كان قطباً لتحركات مهمة جداً، وكنت قد شاهدت عن قرب ما يقوم به هذا المقر في إصفهان - رحمة الله على الشهيد بابائي - أو مركز المدفعية في إصفهان، ومجموعة هذه النقاط لها معان كبيرة جداً. والنتيجة هي أن الإصفهانيين كانوا بعد الثورة وطوال الحرب المفروضة وبعد الحرب في مختلف الميادين الحساسة نظير تنمية البلاد ورشدها وقضاياها العلمية من الرواد والسباقين. بعض العقد المستعصية التي واجهتنا في القوات المسلحة تم حلها في المراكز العلمية والبحثية في إصفهان.

(1) حجة الإسلام و المسلمين طباطبائي نجاد ممثل الولي الفقيه و أمام الجمعة في إصفهان.

هذه مفاخر وهي ليست للتباهي وإنما لأجل معرفة الهوية الذاتية والمواهب الذاتية، والتحرك على أساسها والتقدم إلى الأمام.

يعلم الجميع - وقد أشير إلى ذلك - أن الإصفهانيين بوحداتهم المتنوعة هذه كانوا يعملون في الخطوط الأمامية في حرب الأعوام الثمانية. هذا شيء معلوم و معروف للجميع. وما هو غير معلوم للكثيرين هو دور الأفراد المجهولين وغير المتبحرين الذين عملوا ونشطوا طوال هذه الأعوام في مجال الإسناد، النساء اللواتي كن في العوائل، والكسبة والتجار، والذين عملوا في الأجهزة الإدارية، والمجاهدون الذين قدموا أنواع الخدمات للجبهات، ومنهم بعض الشهداء، الذين استشهدوا أو استشهد ذوهم، ولم يعلنوا شيئاً، ولم يذكروا شيئاً، ولم تسجل أسماءهم في مكان ما، لكنهم معروفون في السماوات وفي الملاء الأعلى، إذ لا تضيع في الحساب الإلهي حتى أصغر الأعمال. كل هذه القوافل المحملة بالمساعدات التي انطلقت من إصفهان، وكل هذه الهمم والدوافع وعوائل الشهداء.. يعيش الشهداء لحظة صعبة واحدة ثم يعرجون إلى السماء وتنتهي أوجاعهم وآلامهم.. «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»⁽¹⁾.. إنما القضية قضية عوائل الشهداء.. قضية الآباء والأمهات والزوجات والأبناء والإخوة والأخوات والمفجوعين. هؤلاء هم الذين صبروا وفخروا بشهادتهم. ثمة في إصفهان عوائل أعطت ثلاثة شهداء، وهناك عوائل كان لها ولد واحد فأعطته شهيداً. هؤلاء هم إبراهيم العصر الذين يصنعون هوية الشعب ويمنحونه

(1) سورة يونس، الآية 62.

ما من شعب يصل إلى غاياته بالقعود والأكل والنوم والاعتماد على الأجنب وتسويد الأهواء والنزوات في الحياة. الذين يطلقون الكلام والآراء السلبية عند الحديث عن الدفاع المقدس، ويغمزون ويلمزون عند الحديث عن الشهادة، ويقطبون وجوههم إذا جرى الكلام عن المعاقين والمضحجين، ويتسمون استهزاءً عند الحديث عن التقدم العلمي وتحطيم حدود العلم، ويهزون رؤوسهم عند الكلام عن أجهزة الطرد المركزي في مراكز التخصيب النووي ويقولون هذا أمر غير ممكن، هؤلاء لا يفهمون شيئاً عن حركة الشعب. الذين تربوا على التربية الخاطئة والأخلاق الفاسدة الطاغوتية لا يدركون شيئاً عن تأثير الإيمان والتحرك والجهاد.

حينما يؤمن الشعب بالجهاد فسوف يتقدم على كافة الأعداء. وليس الجهاد مجرد حمل البنادق، إنما الجهاد هو أن يرى الإنسان نفسه دوماً في ساحة النشاط والحركة والكفاح ضد العقبات والموانع والعراقيل، ويشعر بالواجب والالتزام. هذا هو الجهاد الإسلامي. الجهاد أحياناً بالنفس وأحياناً بالمال وأحياناً بالفكر وأحياناً برفع الشعارات وأحياناً بالنزول إلى الشوارع وأحياناً بالحضور عند صناديق الاقتراع.. هذا هو الجهاد في سبيل الله وهو ما يحقق الرشد والنمو للشعب، ويمنحه الطراوة والتوثب والحركة والأمل، ويتقدم به إلى الأمام.

حسناً، والآن كيف يمكن الكفاح والعمل ضد هذا الشعب؟ الجبهة المعادية

للإسلام والثورة الإسلامية والنظام الإسلامي التي تكونت في العالم تريد العمل ضد مثل هذه الظاهرة العظيمة. فكيف تستطيع العمل ضدها؟ الأمر غير ممكن بالحرب - وقد جربوا ذلك ووجدوا أنه غير ممكن - وهو غير متاح بالتهديد بالحرب والتهديدات العسكرية، وغير ممكن بالحظر الاقتصادي. الذين يتصورون أن بوسعهم إخضاع الشعب الإيراني بالحظر الاقتصادي إنما يعملون عبثاً. الشعب الذي يحمل الأمل والإيمان يعلم ما الذي يفعله ولا يمكن فرض التراجع عليه بالتهديدات.

من أجل مجابهة مثل هذا الشعب فإنهم يركزون على نفس النقطة التي تركزون عليها⁽¹⁾ - وهذا ما يدل على يقظتكم يا أهالي إصفهان - وأعني بذلك خلق التصدعات والتباعد بين أبناء الشعب وزرع الشقاق والصراع بينهم والفصل بين كتل الشعب العظيمة وبين المسؤولين وبث سوء الظن والجدل على الأمور التافهة. هذه من أهم أدوات العدو في عدائه للثورة الإسلامية. لذلك ينبغي الحذر.

طبعاً كان أهالي إصفهان حذرين، وقد تصرفوا بنحو جيد في الأحداث الماضية. في مقابل فتنة سنة 88، وفي يوم التاسع من ذي العظيم، وفي تلك الحركة الشعبية التلقائية كان لهم أداء متألق. على الجميع الحذر من التصدعات والتنافر والفتنة وسوء الظن بالأجهزة المسؤولة. الذين تلاحظونهم يتهمون النظام الإسلامي وأجهزته من دون أية قيود أو ملاحظات ويقذفونه بكل ما

(1) إشارة إلى شعارات الحضور: الموت للمنافقين مشيري الفتن.

يمكن قوله إنما يتحدثون بالنيابة عن العدو، فهم يريدون ردم الفراغ إذا لم تصل أصوات الأجهزة الإعلامية للجبهة المعادية للإسلام وجبهة الصهاينة والأمريكيين إلى أسماع البعض، وإيصال أصواتهم وكلامهم لأسماع الناس.. هؤلاء يخونون الشعب، وهذه في الحقيقة خيانة واضحة. بث سوء الظن بين أبناء الشعب، و بين الشعب والمسؤولين، ونشر اليأس في الأجواء والنفوس إنما هو من تلك السبل والأدوات.

ومن السبل الأخرى نشر الفساد الأخلاقي في المجتمع. وعلى الجميع وخصوصاً الشباب الحذر. الفساد والانحطاط الأخلاقي يستخدم للأسف كأداة لخدمة الأهداف السياسية الاستكبارية. وفي العديد من مناطق العالم يستخدمون المخدرات كوسيلة لخدمة الأهداف السياسية - ومن أجل ملء الجيوب أيضاً - في سبيل تحطيم الشعوب والقضاء عليها وتدميرها. على شعبنا وشبابنا ومسؤولينا الحذر من هذه الأمور بكل جد.

لأصفهان إمكانيات واسعة جداً وقد كان الأمر كذلك في الماضي أيضاً فاعرفوا قدر هذه الإمكانيات والموهب. إصفهان مركز علمي - علوم الدين والعلوم المتنوعة الأخرى - وقد كانت كذلك في الماضي أيضاً وهي كذلك اليوم أيضاً. لأصفهان اليوم حوزة علمية جيدة جداً والحمد لله. وفيها عدة جامعات معتبرة على مستوى البلاد. وبالطبع فإن السوابق العلمية لأصفهان أكثر من هذا. من المناسب أن تمتد نظرات العلماء والباحثين والمفكرين في إصفهان إلى الآفاق الواسعة التي كانت في القرون الماضية. كانت إصفهان ذات يوم

قطباً للإشعاع العلمي إلى كافة أنحاء البلاد بل لكافة مناطق العالم الإسلامي، ويتعين عليكم السعي لاستعادة مثل هذه المكانة. وإصفهان إلى ذلك مبرزة في مجالات الفنون والصناعات الظرفية والصناعات اليدوية. وكل واحدة من هذه النقاط هي في الواقع مآثر لإصفهان. والعقيدة الدينية والإيمانية لأهالي إصفهان تقف سنداً لكل هذه المآثر. وهذا ما كان مشهوداً في السلوك الذي أبداه أهالي إصفهان قبل الثورة، لكن كل شيء اكتسب بعد الثورة أبعاداً أوسع. في ذلك الحين كنت كثير التردد والذهاب إلى إصفهان، وكنت أشاهد تدين الناس والتزامهم بالشعائر الدينية. وبالطبع فقد تضاعف الوضع عشرات المرات بل مئات المرات في الوقت الراهن عمّا كان عليه يومذاك، وهذا سند عظيم. عليكم أن تعرفوا قدر هذه التوسلات بالله والتوجه إلى الله فهي دعامة وسند لكل حالات التقدم الدنيوي والأخروي.

حينما يتحلى الشعب بالإيمان فسيشعر أن لن يضيع له أي عمل ولن يذهب سدى. كل أعمال الإنسان تكتسب المعاني بفضل الإيمان، ويتوجب الحفاظ على هذا الإيمان. لقد استطاع شعب إيران في الوقت الحاضر وتوفيق من الله فرض الإخفاق على شتى أنواع العداوات. أساس عدااء الجبهة المناوئة للإسلام والجمهورية الإسلامية هو إيمان هذا النظام وهذه الجمهورية الإسلامية وهذا الشعب بالقيم الإلهية، فالساسة الماديون لا يطيقون هذا الشيء. العداوات ضدنا سببها الالتزام بالمبادئ والقيم الإلهية. هذا جانب من القضية.

والجانب الآخر من القضية هو أن المسيرة التقدمية للشعب الإيراني طوال

هذه الأعوام الاثني والثلاثين إنما كانت ببركة الإيمان بالله والاعتقاد بهذه القيم، فحافظوا على هذا الالتزام بكل قوة. واعلموا أن هذا التقدم سوف يستمر وأن تلك العداوات لن تصل بتوفيق من الله وبحول الله وقوته إلى أية نتائج، وسيكون الشعب في إيران المتتصر في جميع هذه الأحداث.

اللهم أنزل فضلك ونصرك ورحمتك على هذا الشعب وعلى أهالي إصفهان الأعزاء. اللهم أرض عنا القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر واشملنا بأدعيته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

